نعت الانباء شخصية عراقية كبيرة ، وأحد وجوه التيار الديمقراطي في عهده الاول ، ووزير الزراعة في اول حكومة لثورة الرابع عشر من تموز .. هديب الحاج حمود ، الذي لم يهدأ همه الديمقراطي بعد انسحابه من المسؤولية الوزارية ، وتجميد نشاط الحزب الوطني الديمقراطي ، فقد استمر وللسنوات التالية بالمشاركة مع اقطاب الحركة الديمقراطية بكتابة المذكرات السياسية المطلبية، واغلبها لاتجد حلا للمشكلة السياسية في العراق الا بحياة ديمقراطية كاملة . ولد في مضارب عشيرة (الحميدات) في الشامية، أكمل الابتدائية والمتوسطة في النجف والاعدادية في الثانوية المركزية ببغداد، وأنتسب الى كلية الحقوق وتخرج في عام1941، مارس العمل السياسي منذ الشباب وكان توجهه ديمقراطياً لذلك شارك ببناء الحزب الوطني الديمقراطي، ثم أصبح وزيراً للزراعة كممثل للحزب في حكومة ثورة الرابع عشر من تموز .

□ بغداد/ المدى

رحيل الشخصية الوطنية البارزة هديب الحاج حمود

هديب الحاج حمود

في ثلاثينيات القرن الماضي سكن هديب الحاج حمود مدينة الشامية وكان الزعيم عبد الكريم قاسم معلما في مدرسة الشامية ولذا فهو على علاقة سابقة بالعائلة ذات الميول الليبرالية ،فوالد الحاج حمود كان رئيس عشيرة وملاكاً وكان بيته محطة للشيوعيين المطاردين من الحكومة، وقبل يومين من اعلان الثورة وصلت مكالمة تلفونية من بغداد الى احد التجار في الشامية وكان يملك الهاتف الوحيد، وكانت المكالمة موجهة الى هديب وفحواها (ان سعر الطعام زين فحل يبيع الحاصل) ولما ابلغ هديب بفحوى الرسالة توجه فورا الى بغداد.

ووصل هديب بالفعل الى بغداد وسكن في فندق قريب من جسر الملك فيصل الثاني واسمه (جبهة النهر).

وفي صباح الثالث عشر من تموز توجه مباشرة الى منزل كامل الجادرجي في بيته الواقع بالاعظمية، وطلب منه الجادرجي البقاء في بغداد لانه من المحتمل ان تحدث ثورة.

بعد اعلان وزارة الثورة اتضح انها ضمت عدداً من واقطاب الحزب الوطني الديمقراطي ، وفي اليوم التالي دعا رئيس الحزب كامل الجادرجي الى اجتماع حضره المرشحون للوزارة وهم محمد مهدي كبة وفائق السامرائي وحسين جميل وفؤاد الركابي وابراهيم كبة وجرى الاجتماع في منزل الجادرجي.

ورأى الجادرجي ان يتولى العسكريون بأنفسهم ادارة المسؤولية على ان يؤيد الحزب الثورة ثم ينسحب العسكر لتحل محلهم حكومة مدنية من جميع الاحزاب الا ان باقي الاعضاء خالفوا رأيه فوافق على ترشيح عضوين من الحزب الوطني الديمقراطي، هما محمد حديد لوزارة المالية وهديب الحاج حمود لوزارة الزراعة ..اما عن دوره في قانون الاصلاح الزراعي، فقد كان تنظيم الملكية قد ورد ضمن الدستور المؤقت للثورة، وحث الزعيم على انجاز هذا القانون باسرع وقت وتشكلت لجنة برئاسة هديب الحاج حمود، لكن النقاشات الاولى لم تكن موضوعية من بعض الاعضاء فيما تخلف اعضاء اخرون عن الحضور المتواصل لاجتماعات اللجنة مادفع هديب الى اختصارها الى ستة اعضاء كانت اراؤهم مختلفة بشأن الحد الاعلى للملكية حتى حسم بـ١٠٠٠ دونم للاراضي المروية سيحا و٢٠٠٠ للمروية ديما ولم يشذ عن الاتفاق الا عبد السلام عارف الذي حصر الملكية بـ٥٠ دونماً وهو امر غير قانوني. بعد ان اعلن الزعيم قانون الاصلاح الزراعي في الثلاثين من ايلول العام ١٩٥٨، اصطدم القانون بمصالح رؤساء العشائر ومع ذلك لم يطبق القانون الا في مناطق الفرات الاوسط ولم ينفذ في مناطق الجزيرة ولا في مناطق الشمال.وعلى اية حال فأن الثورة عدت قانون الاصلاح الزراعي مشروعا سياسيا يستهدف تصفية الملكية الاقطاعية، ومن ناحية اجتماعية يسعى الى توزيع الاراضي للفلاحين بحد معقول يؤمن معيشة العائلة الفلاحية.

وكان من الطبيعي ان تحدث مشكلات فكل قانون يحتوي على اخطاء لاتظهر الاعند تطبيقه وهذا ماحدث مع قانون الاصلاح الزراعي ومع ذلك عد قانون الاصلاح الزراعي العمود الفقري للثورة باعتباره استهدف تحرير الفلاحين الذين كانوا يشكلون نحو ٨٠ بالمئة من سكان العراق.

نصير الجادرجي: الوزير الذي أعطى أرضه للفلاحين

يقول السياسي المعروف نصير الجادرجي ان هديب الحاج حمود من مواليد عام ١٩١٩، ويتمتع بسمعة جيدة في منطقة الفرات الاوسط ، حيث كانت ولادته وشبابه في منطقة الشامية وهو من شيوخ عشائر الحميدات.ويضيف الجادرجي انه منذ كان حمود شابا صغيرا في المتوسطة والثانوية كانت لديه تطلعات تجاه مدينته ولوضع الفلاحين وكان يقف بصف هذه الشريحة ، وفي عام ١٩٥٣ كان اول شخص في العراق من ملاك الاراضي قام بأعطاء ٥٠٪ من الارض للفلاحين والخمسين بالمئة الاخرى الى صاحب الارض .

الجادردي يتابع بالقول " كانت هذه الحادثة قد اثارت لغطا وبلبلة وضجة كبيرة من قبل الفلاحين وملاك الاراضي ، لان المجموعة الاولى بدأت تطالب بالمساواة ، والعمل بالمثل في كل الاراضي التي يعملون عليها ، وبالطبع كان اصحاب الاراضي يرفضون هذا التقسيم ، وعلى مايقوله الجادري "حمود تعرض للاعتقال على خلفية هذه المطالبات ". ويضيف الجادرجي " في انتخابات عام ١٩٥٤ رشح هديب الحاج حمود عن الجبهة الوطنية ، وحدث تزوير كبير في تلك الانتخابات وتدخل الحكومة بشكل سافر في تغيير نتائج الانتخابات في منطقة الشامية ، ولم يستطع حينها حمود ان يحصل على مقعد في البرلمان".وتابع " بعد ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ اصبح وزير الزراعة ، وساهم في وضع قانون الاصلاح الزراعي ، وعضوا في اللجنة المركزية للحزب الوطني الديمقراطي. واكد الجادرجي بان هديب الحاج حمود قد شارك في كتابة مذكرات سياسية مطلبية في العهد الملكي بمشاركة كامل الجاردي ومحمد حديد وحسين جميل.

معاذ عبد الرحيم: شخصية سياسية لامعة

ويتحدث السياسي والاعلامي معاذ عبد الرحيم عن هديب الحاج حمود قائلا " انه شخصية سياسية مرموقة ، وكنت متابعا له من خلال الشأن السياسي ، حيث كنت حينها في حزب الاستقلال ، وهو في الحزب الوطني الديمقراطي ، وانه من الشخصيات السياسية اللامعة في منطقة الفرات الاوسط ويخلو تاريخه من شائبة، ولصيق الى كامل الجادرجي" .

ويضيف عبد الرحيم ، بانه كان احد الاركان الاربعة الكبيرة للحزب الوطني الديمقراطي بجانب كامل الجادرجي ، ومحمد حديد وحسين جميل.

عامر حسن فياض: ساهم في تأسيس تيار ديمقراطي

ولم يختلف عميد كلية العلوم السياسية عامر حسن فياض في توصيف شخصية هديب الحاج حمود ، حيث اشار الى انه من اهم الشخصيات السياسية ومن وجهاء منطقة الشامية،، وقد كان من رجال الحركة الديمقراطية في العراق ، ساهم بتأسيس تيار وطني ديمقراطي واضاف فياض ان رحيل هديب يعد خسارة للحركة الوطنية العراقية فهو يعد احد رجالاتها الكبار وشاهدا على عصر مثير.

كامل الجادرجي يتحدث عن صديقه هديب الحاج حمود

اما بالنسبة لهديب الحاج حمود فقد كان عبدالكريم قاسم يعرفه منذ العام ١٩٣١ عندما كان قاسم معلماً في مدينة الشامية، وهديب كان طالباً في الصف السادس الابتدائي، وكان والده احد ابرز شيوخ العشائر في مدينة الشامية، لذا رشحه عبدالكريم قاسم وزيراً للزراعة في حكومة الثورة الاولى ولخبرته في قضايا الفلاحين والزراعة، اضافة الى كونه احد اقطاب الحزب الوطني الديمقراطي، لكن هديب كزميله محمد حديد لم يعلم باستيزاره وزيراً، بل سمع ذلك من الراديو صبيحة يوم ١٤ تموز ١٩٥٨.

عن كتاب (صورة أب)

هـديـب الحـــاج حـمـود وجـمـاعـة الاهـــالي

□ بغداد/ المدى

كان الشاب هديب، من المغرمين بقراءة الكتب والقصص التأريخية، بحيث ثقف نفسه ذاتياً، وكان كثير التأثر بقصص الروائي الروسي الشهير (ديستوفسكي)، ومعجباً كل الاعجاب بالزعيم الوطني (غاندي)، زعيم الحركة الوطنية الهندية ضد الاستعمار البريطاني، ومتأثراً باسلوبه النضالي (اللاعنفي)، في الحركة الوطنية والعمل السياسي ضد الاحتلال البريطاني واعوانه من الرجعيين (الراجات) الخونة.

وبحكم اطلاعه على هذه القوانين والانظمة، وبتجربته الخاصة المستمدة من معايشته لحياة الفلاحين من ابناء عشيرته، تحسس بما يعانيه الفلاح، من البؤس والشقاء والحياة القاسية، من جراء جور وظلم هذه القوانين والانظمة، والتي تتعارض كل التعارض مع مصلحة الفلاحين والمزارعين الصغار، لشعوره الانساني بما يكابده الفلاح في ظل الاقطاعيين والملاكين الكبار، وشعوره بضرورة معالجة هذه السلبيات والتطلع الى رفع الظلم والجور عن هذه الطبقة الكادحة والمعدمة. وكما قال بانه (كان متأثراً بجريدة الأهالي التي صدرت في عام/١٩٤٢، من قبل مجموعة (جماعة الأهالي) القدامى وفي مقدمتهم (الاستاذ كامل الجادرجي) والتي كانت بالنسبة لي (المدرسة الديمقراطية الحقيقية)، وتعتبر المنبر الديمقراطي لكل الوطنيين والديمقراطيين، والتي تعلمتُ منها المفاهيم الديمقراطية واهمية اقامة النظام الديمقراطي الحديث، الذي يهدف لتحقيق العدالة الاجتماعية والرفاه لكل الشعب وبالأخص بالنسبة للكادحين من العمال والفلاحين، وايمانه بان الاصلاح الزراعي، هو احد الاوجه الهامة، لتحقيق الديمقراطية الاجتماعية لغالبية المجتمع العراقي وخاصة طبقة الفلاحين).

وبهذه العقلية النيرة ووعيه الواسع، وتأثره بالمفاهيم الديمقراطية الحقة، بحكم تتبعه لجريدة (الأهالي) الديمقراطية، خلال فترة الحرب العالمية الثانية(١٩٣٩-١٩٤٥)، واطلاعه على الثقافة الحديثة، متأثراً بالاحداث السياسية وتطور الحركة الوطنية والديمقراطية في البلاد، بعد انتهاء الحرب، وانتصار الجبهة الديمقراطية والاشتراكية على القوى الفاشية، مما هيئت له الظروف هذه الى تبني المفاهيم الديمقراطية، واندفاعه للعمل في صفوف الحزب الوطني الديمقراطي، بعد تشكيل الاحزاب في(٢/ نيسان/١٩٤٦)، بزعامة الاستاذ كامل الجادرجي، واجازته من قبل حكومة (توفيق السويدي) والتي كان فيها الوطني الاستاذ (سعد صالح) وزيراً للداخلية.

وقد واصل نشاطه في الحزب، منذ ارتباطه، وأصبح مسؤولاً عن فرع الحزب في الشامية والديوانية والنجف الاشرف، وكان له الدور الفعال في قيادة وتثبيت الحزب في منطقة الفرات الأوسط، رغم الاضطهاد والارهاب من الحكومات الرجعية المتعاقبة، التي كانت تحارب الاحزاب الوطنية والتي كانت حينها في حزب الاستقلال ، وهو في الحزب الوطني الديمقراطي ، وانه من الشخصيات السياسية اللامعة في منطقة الفرات الاوسط ويخلو تاريخه من شائبة، ولصيق الى كامل الجادرجي" .

ويضيف عبد الرحيم ، بانه كان احد الاركان الاربعة الكبيرة للحزب الوطني الديمقراطي بجانب كامل الجادرجي ، ومحمد حديد وحسين جميل.

عامر حسن فياض: ساهم في تأسيس تيار ديمقراطي

ولم يختلف عميد كلية العلوم السياسية عامر حسن فياض في توصيف شخصية هديب الحاج حمود ، حيث اشار الى انه من اهم الشخصيات السياسية ومن وجهاء منطقة الشامية،، وقد كان من رجال الحركة الديمقراطية في العراق ، ساهم بتأسيس تيار وطني ديمقراطي واضاف فياض ان رحيل هديب يعد خسارة للحركة الوطنية العراقية فهو يعد احد رجالاتها الكبار وشاهدا على عصر مثير.

الراحل أمام داره

مع عدد من الوجهاء

والديمقراطية، وكبت الحريات الديمقراطية، ومضايقة اعضاء هذه الاحزاب، وخاصة في الألوية، وقمع المظاهرات الجماهيرية والاضرابات العمالية، وانتفاضات الفلاحين، بالحديد والنار، واستشهاد العشرات من ابناء الشعب، وغلق الصحف الوطنية والحزبية، وتجميدها لبعض مواد الدستور العراقي، وخاصة ما يخص حقوق الشعب الديمقراطية، منذ الأربعينات والخمسينات من القرن الماضي، ومع ذلك بقي مخلصاً للحزب وعاملاً فيه من اجل تحقيق اهداف الشعب العراقي، في الحرية والاستقلال والسيادة الوطنية، حتى تحققت الأماني في ثورته المجيدة، ثورة الجيش والشعب في يوم(١٤/تموز/١٩٥٨).

وقد لعب الاستاذ هديب الحاج حمود عندما كان مسؤولاً عن الحزب في منطقة الفرات الأوسط، دوره الفعال مع الفئات الديمقراطية الاخرى (الطلاب والعمال والمثقفين والمحامين) في تأييد واسناد، انتفاضة الفلاحين في بداية شباط/١٩٥٤، وزحفهم من القرى المجاورة نحو مدينة الشامية، مطالبين بـ(قسمة الحاصل الزراعي مناصفة) بين المالك والفلاح، بدل الثلث، وجعل المصاريف الزراعية مناصفة ايضاً، وتحميل اصحاب الأراضي حصة مضخات الري كاملة، وبعد هذه المظاهرات الجماهيرية الواسعة في تأييد هذه المطاليب المشروعة والعادلة للفلاحين شنت السلطة المحلية (الشرطة ورجال الأمن وجلاوزة الأقطاعيين) حملة واسعة ليلاً، وداهمت البيوت وأعتقلت العشرات من (الطلبة والعمال والمحامين) من ابناء المدينة مع الكثير من الفلاحين المنتفضين، وقد كان من ضمن المعتقلين (الطلاب مهدي الحافظ وسعيد الشريف وحميد المختار وصادق العطية) وأرسلوا الى مركز شرطة غماس، ومن المحامين المثقفين هديب الحاج حمود ويوسف الشريف ورزاق الحاج مهدي ومحمد عبدالمصعب وحسن الحاج وداي وأرسلوا الى مركز شرطة ناحية الشنافية، وقد كان لهديب موقفه المشرف في حماية الفلاحين وبالأخص الفلاحين (أسود فرحان ورحيم آل حميدي، وجبار...) من فلاحي منطقته وآخرين، ورفض تسليمهم الى السلطة.

لقد كان للحزب الوطني الديمقراطي والحزب الشيوعي، دورهما المتميز في مساندة وتأييد الأنتفاضة الفلاحية وصدروا البيانات المتعددة، متضامنين مع الفلاحين ومؤيدين لمطاليبهم المشروعة، كما طالبت باطلاق سراح المعتقلين، وفي الوقت نفسه، بادرت نقابة المحامين في تشكيل وفد كبير من المحامين للدفاع عن المعتقلين، وكان الوفد برئاسة نقيب المحامين الاستاذ حسين جميل، ونائبه الشهيد (توفيق منير)، مع العلم استمر اعتقالهم لمدة شهر واحد.

وقبل تطبيق قانون قسمة الحاصل الزراعي مناصفة) بين المالك والفلاح الذي صدر في عام١٩٥٤، من قبل الحكومات المتعاقبة حتى عام ثورة١٤/تموز/١٩٥٨، بادر الاستاذ هديب الحاج حمود إلى جعل حصة الفلاح في أراضيه(٥٠٪) بدلاً من(٣٠٪) مع عدم تحميله المصاريف الزراعية الأخرى، كما عمل على تنظيم حياة الفلاحين وتجنيبهم قروض التجار والمرابين الجشعين من الربا الفاحش، الذي كان يفرض على الفلاحين بحيث كان يلتهم كل واردهم من الحاصل، ومنعهم الاستلاف منهم، وكان هو يسلفهم ما يحتاجونه من السلف بدون فائدة، وكثيراً ما كان يسترد قسماً منها، عندما تكون ظروف الفلاح سيئة، وكان يساعدهم في تسويق حاصلاتهم الزراعية بدلاً من تركهم تحت رحمة التجار الجشعين، الذين يستغلون ضعف الفلاحين وعدم تكافؤ قوة المساومة التجارية بينهما.

وعندما انعقدت (الجبهة الوطنية الانتخابية عام/١٩٥٤) بين الاحزاب (الوطني الديمقراطي والحزب الشيوعي والاستقلال والعناصر الوطنية والديمقراطية المستقلة) للدخول في الانتخابات النيابية التي جرت في٩/مايس/١٩٥٤، في ظل حكومة (أرشد العمري) رشح الإستاذ هديب الحاج حمود عن الجبهة في منطقة الشامية ممثلاً للحزب الوطني الديمقراطي ولكنه لم يفز بذلك نتيجة للتدخل الفظيع والتزوير والتلاعب المفضوح في الانتخابات، علاوة على اعتقال العشرات من العناصر الوطنية والديمقراطية من انصار الاستاذ هديب من قبل السلطة بالأضافة الى موقف الاقطاعيين وشيوخ العشائر في المنطقة، المعادين لأنصار الجبهة والحركة الوطنية والديمقراطية. وعندما تشكلت (جبهة الاتحاد الوطني عام/١٩٥٧) من الاحزاب (الوطني الديمقراطي، الحزب الشيوعي، حزب الاستقلال، حزب البعث، العناصر الوطنية والديمقراطية المستقلة) مثل الاستاذ هديب الحاج حمود الجبهة في منطقة الفرات الأوسط خلال فترة الحكم الملكي، وكان مسانداً فعالاً للحركة الفلاحية السياسية.

مثل الحزب الوطني الديمقراطي في أول وزارة شكلت بعد ثورة١٤/تموز/١٩٥٨، مع الاستاذ محمد حديد، وكان وزيراً للزراعة في حكومة عبدالكريم قاسم، وحينما صدر قانون الاصلاح الزراعي رقم(٣٠) في ايلول١٩٥٨ حيث ساهم في اعداده أصبح المفوض عن الهيئة العليا للأصلاح الزراعي، قبل تشكيل وزارة الاصلاح الزراعي.

وبعد صدور قانون الاحزاب في فترة حكم عبدالكريم قاسم عام/١٩٦٠، كان الاستاذ (هديب) من ضمن مؤسسي الحزب الوطني الديمقراطي (كامل الجادرجي، محمد حديد، حسين جميل، عبدالله عباس وآخرين) الذي أعيد تأسيسه وكان آخر نائب للرئيس (كامل الجادرجي) والذي أنتخب في المؤتمر الثامن المنعقد في عام/١٩٦٠.

وبعد الانقلاب البعثي الفاشي في شباط عام/١٩٦٣، والذي جاء بقطار امريكي كما قال (علي صالح السعدي) والقضاء على الحريات الديمقراطية وحل الاحزاب الوطنية والديمقراطية والمنظمات المهنية والنقابات العمالية واتحادات الفلاحين وشن حملة شرسة دموية ضد القوى الوطنية والديمقراطية واليسارية والشيوعية، وقتل المواطنين والمناضلين في الشوارع والمحلات والأزقة وتعذيب المئات من المناضلين حتى الموت، في هذه الظروف الشاذة لم تنقطع علاقة الاستاذ (هديب) بالقادة الديمقراطيين ومواصلة لقاءاته معهم ولبحث اوضاع البلد بعد الانقلاب المشؤوم.

وفي فترة حكم عبدالرحمن عارف عام/١٩٦٧، حدث العدوان الاسرئيلي على البلدان العربية في٥/حزيران/١٩٦٧، وشارك الاستاذ هديب مع (الجادرجي ومحمد حديد) في اصدار بيان مشترك مستنكرين فيه العدوان الاسرائيلي وفضحه باعتبار اسرائيل والصهيونية أداة مسخرة بيد الاستعمار.

وبعد انقلاب عام/١٩٦٨، ووصول البعث الفاشي الى الحكم ثانية، وفرض صدام نظامه الدموي على البلاد فكانت نشاطات الاستاذ (هديب) وخاصة بعد وفاة الاستاذ كامل الجادرجي لا تتعدى حدود العلاقات الشخصية مع قادة الحزب الآخرين (حسين جميل، محمد حديد، عبدالله عباس) القائمة على الزيارات الأسبوعية حسب ظروف البلد، وكانت له لقاءات أخرى مع الشخصيات اليسارية مثل (الاستاذ سالم عبيد النعمان والاستاذ عبدالفتاح ابراهيم، وآخرين من العناصر الديمقراطية واليسارية، يتدارسون في هذه اللقاءات أحوال البلد وما آلت أليه من المآسي والآلام والنكبات، من جراء الحروب الخارجية والداخلية المدمرة، في ظل حكم صدام الأهوج، والذي فرض على الشعب أعتى وأقسى ديكتاتورية عرفتها البشرية.

لقد كان هديب واحد من الذين أدوا واجبهم الوطني الديمقراطي في فترتي (الحكم الملكي والجمهوري) ومساهمتهم الفعالة والمتميزة في غرس المفاهيم الوطنية والديمقراطية في بلاد الرافدين، وكان هؤلاء الرعيل الأول في الوطنية والديمقراطية والمنبر الأصيل في نشر الوعي الديمقراطي منذ تأسيس جماعة الأهالي في عام/١٩٣٢، عند اصدار جريدتهم (الأهالي) وحتى نهاية حكم عبدالكريم قاسم في عام/١٩٦٣. وهكذا رفع الاستاذ (هديب الحاج حمود) راية الديمقراطية في عراقنا الحبيب في فترة الاحتلال الأمريكي على طريق رفاقه من قادة الحزب القدامى مقتدياً بالطريق الذي قطعوه في خدمة الديمقراطية والوطن والشعب.

سلاما ياعراق

الـرجـال قـوامـون عـلـى أغـــاني الـنـسـاء!

▪ هاشم العقابي

فاجأتني حفيدتي ديما، عمرها ١١ عاما، بحصولها على جائزة تقديرية في يوم عيد المرأة العالمي. المفاجأة لم تك بسبب فوزها، بل بالعمل الذي قامت به. لقد كتبت اغنية عنوانها "احزروا من هي أمي". كتبتها بانجليزية رشيقة وبكلمات تشم منها رائحة الطفولة النقية ببساطة. لا احلى من تلك الكلمات الا وجهها المتورد بفرح الفوز، وبالشعور بانها قدمت شيئا أسعد امها وبنات جنسها.

تبقى المفاجأة ليست بالكلمات، بل لأن حفيدتي اثارت في ذهني سؤالا لم يمر ببالي من قبل، رغم اني كتبت كثيرا عن الأغنية العراقية. لماذا لا توجد شاعرة او امرأة عراقية كتبت أغنية بلسان المرأة نفسها؟ خفت ان لا يكون سبب السؤال قصورا في معرفتي، فسألت بعض ذوي الاختصاص فلم انجح بالعثور على اغنية عراقية كتبتها امرأة. استثناء واحد هو الشاعرة لميعة عباس عمارة التي وان غنيت لها بعض الكلمات لكنها كتبت بالاساس كقصائد لا أغاني. ولربما تكون هناك شاعرة اخرى لم انتبه لها. مع هذا تبقى حالة نادرة لا تلغي وجود ظاهرة أعم.

الغريب هو ان لدينا كما لا بأس به من الاغاني التي كتبت على لسان النساء. لكن الذين كتبوها من الذكور. من "آنه المسيجينة" الى "آنه الحديثة أنا بنت الفقير" الى "غريبة من بعد عينج يا يمه". وان كانت تلك تعد من الأغاني القديمة او التراثية، كما تسمى احيانا، .لكن هناك اغان حديثة كثيرة قيلت عن لسان المرأة وليس من قبلها. يكفي ان اذكر بان أجمل ما كتبه الشاعر ابو سرحان الجميل، جاء على لسان امرأة . وهل هناك اجمل من:

حدر التراجي برد .. والكنطره بعيده
أمشي وكول وصلت .. والكنطره بعيده
لا لا يا برد الصبح .. ما تحمل جفوفي
زغيره وجواني العشك .. وتوسد زلوفي
هيمه وجحيل الوكت .. ما لمني نفنوفي
لوذي اعلى البعد البعد .. يا روحي حدر ايده

أضف لها "آنا أمك يا زين" ، "همه ثلاثة للمدارس يروحون" "ولا لا لول لوه .. خلخالي صاح ودوه".

انا من بين الذين كتبوا باعجاب وصل حد التغزل، بأغاني النساء العراقيات. وأقصد بذلك الدارمي (غزل البنات) الذي توارثته بنات العراق من جداتهن السومريات. أما يثير الغرابة ان العراقيات وقبل مئات السنين سطرن اجمل كلمات غنائية، لكننا، وعلى مدى قرابة قرن، نشهد شبه غياب تام لحضورهن في دنيا كتابة اغانيهن؟ اغلب، او بالأحرى كل، ما كتب من اغان نسوية كان قبل رجال وعلى طريقة "كأنني بلسان حالها تقول"!

لا أدعي اني أعرف الجواب. لكن الذي اعرفه، حتى اللحظة، هو ان نساءنا كتبن قصائد فصحى فيها من الغزل الكثير. وكتبن روايات وقصص تتجاوز بعضها حدود الغزل الى اسرار غرف النوم. فلا اظن ان عدم كتابة المرأة للأغنية يدخل في باب الحشمة او "السرّانية" كما قد يظن البعض. انه سبب آخر يستدعي بحوثا وتأملات علها تكشف لنا سر قوامة الرجال على أغاني النساء.